باب النداء

لغتا الانتظار وعدمه في نداء المرخم:

ويعني الترخيم: حـذف آخر المنادى تخفيـفًا بشروط مبسـوطة في كتب النحو. والمحذوف للترخيم قد يكون: حرفًا، كسعا في سعاد.

وقد يكون حرفين: كمرو في مروان.

وقد يكون كلمة برأسها أو أكثر.

والعرب قد اختلفوا في حركة آخر الاسم المنادى المرخم على مذهبين:

المذهب الأول- وهو أن ينوى المحذوف فلا يغـير ما بقي بل يبقى على حـركته وسكونه ولا يعمل إلا بأمرين:

أحدهما- تحريك ما كان ساكنًا للإدغام إن كان قبله ألف نحو: إحمار ومحمارّ علمين فرارًا من التقاء ساكنين.

ثانيهما- أن يكون ما قبل آخر الاسم قد حذف لواو جمع كقاضون[1].

وقد أنشدوا على هذا المذهب[2] قول الشاعر:

جَـارِي تَسْتَنْكِري عَـذِيْرِي(*)

وكقول الفرزدق:

يَا مَـرْوَ إِنَّ مَطِيَّـتِي مَـحْـبُـوسَـةٌ تَرْجُو الحَـبَاءَ وَرَبُّهَـا لَمْ يَيْأَسِ(**)

---

(١) الهمع ١: ١٨٤.

(٢) ينظر في بحث «إبدال الحروف الصوامت حروفًا صوائت في اللغة العـربية للأستاذ الدكتور يحيى المباركي منشور بمجلة الدرعية ع١٥ س٤ لعام ١٤٢٢هـ ص ص٢١٥- ٢٥٧.

(*) البيت لرؤبة بن العجاج، ولم أجده في أصول ديوانه أو ملحقاته.

وبعده: سيرى واشفاقي على بعيري.

وتستنكري: لا تعديه أمرًا منكرًا. العذير: الحال التي يحاولها المرء يعذر عليها.

والشاهد في: جارى... ترخيم جارية فإنه منادى مرخم بحرف نداء محذوف وقد حذفت التاء من آخره والنداء في اسم الجنس مختلف في جوازه فضلا عن ترخيمه.

(**) البيت قد نسبوه إلى الفرزدق، الديوان ٣٨٤. =

وقال زهير:

يَا حَارِ لاَ أُرْمَيَنَّ مِنْكُمْ بِدَاهِيَةٍ[1](*)

وعليها قراءة عبد الله وعلي وابن وثاب والأعمش «يَامَالِ» بكسر اللام على الترخيم في ﴿**يَا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ**﴾ [الزخرف: ٧٧] وتسمى هذه اللغة: لغة من ينتظر المحذوف[2].

وهذا الوجه هو الأكثر استعمالاً وأقواها في النحو[3].

قالوا: ويتعين في موضعين:

أحدهما- ما فيه تاء التأنيث إذا خيف التباسه بالمذكر كعمرة وعادلة.. وإليه ذهب ابن مالك وبعضهم منعوه ألبتة.

ثانيهما- ما يلزم بتقدير تمامه الأداء إلى عدم النظير كما لو رخم طيلسان بكسر اللام فإنه لو قدر تامًا لزم وجود فيعل بكسر العين في الصحيح العين وهو بناء مهمل كذا جزم به ابن مالك.

قال أبو حيان: وهو مذهب الأخفش، وإلى خلافه مال سائر النحويين كالسيرافي وغيره[4].

= والمطية: الراحلة. ومحبوسة: ممنوعة من العود إلى منازل صاحبها.

والحباء: العطاء. لم ييأس: لم ينقطع. ويروى: معكوسة: بدل: محبوسة وهي رواية الديوان.

والشاهد في: يا مرو: فإن أصله: يا مروان: مرخم بحذف النون وحذف الألف قبلها لزيادتها وكون الاسم ثلاثيًا بعد حذفها.

(١) الهمع ٢: ١٨٤.

(٢)الهمع ١: ١٨٤. الشواذ ١٣٦.

(٣) الهمع ١: ١٨٤، شواذ ابن خالويه ١٣٦، البحر ٨: ٢٨.

(٤) الهمع ١: ١٨٥.

(*) البيت نسب إلى زهير بن أبي سلمى، الديوان: ١٨٠.

وحارثه المذكور: هو الحارث الصيداوى وكان أغارعلى إبل زهير وأخذ راعيه يسار فطلب منه أن يرد راعيه إليه وهدده بهذه القصيدة.

والشاهد في حار: على لغة من ينتظر المحذوف، والأكثر أن يترك الباقي بعد الحذف على ما كان عليه.

المذهب الثاني- بعض العرب لا ينوي الانتظار وإذا تركوه أعطي آخر الاسم ما يستحقه لو تم به وضعًا فيضم ظاهرًا وإن كان صحيحًا: يا حارُ، ويا جعفُ.. وتقدر فيه الضمة إن كان معتلاً، ويعل بالقلب.

والإبدال كقولك في ثمود: يا ثمي بقلب الواو ياء، إذ ليس في الأسماء المتمكنة وآخره واو قبلها ضمة[1].

وتتعين هذه اللغة عند الكوفيين فقط فيما إذا كان قبل الآخر ساكن كهرقل فرارًا من وجود اسم معرب متمكن ساكن الآخر، وقد أنشدوا على هذا المذهب قول عنترة:

يَدْعُونَ عَنْتَرَ وَالرِّمَاحُ كَأَنَّهَا أَشْطَانُ بِئْرٍ فِي لَبَانِ الأَدْهَمِ(*)

وقال لبيد بن ربيعة:

يَا أَسْمُ صَبْرًا عَلَى مَا كَانَ مِنْ حَدَثٍ إِنَّ الحَوَادِثَ مَلْقِيٌّ وَمُنْتَظَرُ(**)

وقد قرأوا على ذلك قوله تعالى: ﴿**يَا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ**﴾ [الزخرف: ٧٧] «على» يَامَالُ «بضم اللام حيث جعله اسمًا على حياله، وهي قراءة أبي السرار الغنوي، وعلى الترخيم عن النبي ﷺ وعبد الله وعلي وابن وثاب والأعمش[2].

---

(١) الهمع ١: ١٨٥.

(٢) الشواذ ١٣٦، البحر ٨: ٢٨.

(*) البيت من معلقة عنترة بن شداد العبسي -جمهرة أشعار العرب ١٦٩.

الأشطان: جمع شطن وهو الحبل. واللبان: الصدر. والأدهم: الفرس الأسود.

والشاهد في قوله: عنتر: ووجه الاستشهاد عدم انتظار ما حذف.. ومعاملة الآخر بما يعامل به لو كان هذا هو آخر الكلمة.

(**) هذا البيت قد عزي إلى لبيد بن ربيعة العامري، وهو عينه قد نسب إلى أبي زبيد الطائي.. ولكن الراجح أنه للبيد -الديوان ٥٤.

وأسم: أصله أسماء فرخم بحذف حرفين من آخره. والحدث: هو النازلة من نوازل الدهر، والأمر الطارئ، وجمعه أحداث. ومنتظر: مرتقب متوقع النزول.. والشاهد فيه: يا أسم... فإن أصله يا أسماء فرخمه بحذف الهمزة وحذف الألف قبلها.

ولم يعز أحد من النحاة -فيما وقفت عليه- هذه الظاهرة اللهجية إلى قوم بأعيانهم من العرب، إلا أن من المتفق عليه أن هاتين اللغتين قد شاعتا في ألسنة كثير من القبائل العربية ولاسيما تلك التي كانت تقطن البادية أو تقع منازلها على تخومها. ودليلنا على ذلك: أن القبائل البدوية هم أولئك الذين شاعت على ألسنتهم ظاهرة الاقتصاد في المجهود العضلي فحذفوا بعض الحركات واستعاضوا عنها بسواها قصدًا إلى تجانس الصوت، وكذا فعلوا ببعض الحروف الزائدة بل وبالأصلية أيضًا رغبة في الانتهاء واختصار الحروف ولا شك أن في حذف بعض الضمائر عند ترك الترخيم في القوافي خير مثال على ذلك -وقد نسبت تلك الظاهرة إلى أسد وقيس وبعض بني تميم وهم من القبائل البدوية، وهذا ما يؤكد أن هذه الظاهرة هي من سمات اللهجات البدوية- فيما نرجح.

وقد عزا بعضهم هذه الظاهرة إلى طيء اعتمادا على ما عرف من قطعتهم المشهورة كقوله: يا أبا الحكا، ويريدون: يا أبا الحكم[1].

****

(١) انظر مجلة الدرعية العدد ١٥، رجب لعام ١٤٢٢هـ. الرياض- بحث للأستاذ الدكتور/ يحيى المباركي. ص ص: ٢١٥ - ٢٥٧.